

جلالة العاهل الكريم يوجه خطابا الى الشعب المغربي والامة الاسلامية بمناسبة يوم القدس

وجه جلالة الملك خطابا الى الشعب المغربي والامة الاسلامية بمناسبة يوم القدس هذا نصه :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

اخواني المسلمين

تقرر في الاجتماع الأخير للجنة القدس بفاس — تلك اللجنة المنبثقة عن المؤتمر الاسلامي — ان يكون يوم 18 مايو من كل سنة يوم ذكرى القدس، وهذه الذكرى ليست في الحقيقة الا رمزية، لأن القدس في قلوبنا ونصب اعيننا صباحاً ومساء في كل يوم وفي كل اسبوع من كل شهر ومن كل سنة، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : «وذكر، فان الذكرى تنفع المومنين».

لننظر بكيفية سريعة شعبي العزيز الى السنين الماضية حتى نرى كيف ذهبت القدس من ايدينا واصبحت محتلة، كان ذلك سنة 1967، ووقعت تلك الحرب الضروس المخجلة التي ذهبت في يوم واحد بالقدس الشريف، وبالضفة الغربية من الاردن، وبالجولان من سوريا، وبسيناء وغزة من مصر.

وكنا وما زلنا نظن ان الاسباب التي ادت الى تلك الكارثة قد اضمحلت وانمحت مع السنين والاعوام، وكنا نظن ان روح العجرفة والهيمنة والوصاية والحجر قد انقضت وانمحت من أوطاننا وبلداننا العربية حتى لايمكن لأي احد اذا صرخ او غضب ان يعتقد ان صرخته هي باسم العرب كافة من المغرب الاقصى الى المشرق الاقصى، ولكن يا للأسف لم نعط للدروس حكمتها وناحيتها الايجابية، وها نحن اليوم بالنسبة للمغرب وقبيل هذا اليوم بيومين نرى هيمنة اخرى وحماية اخرى وحجرا آخر يريد ان يسيطر على الموقف وان يصبح وينصب نفسه الضمير الحي للدول الاسلامية والعربية جمعاء.

على الجميع ان يعلم ان المغرب لا يلتزم عفواً او بكيفية ظرفية، المغرب اذا التزم يحلل اولا عناصر التزماته، ثم يضرب الحسابات لما يترتب على تلك الالتزامات، علماً منه ان كان التزام — ثنائيا كان أو جماعيا — يتطلب من جميع الاطراف المعنية تنازلا عن رضا عن شيء من السيادة حتى يصبح الالتزام كاملا وشاملا، وحينما التزم المغرب غداة استقلاله بالانضمام الى الجامعة العربية كان التزامه مخضرماً : عقلانيا ووجدانيا، وجدانيا لاننا كنا دائما نطمح ان نصبح عضواً ممثلا في تلك الجامعة التي كنا نرى فيها وما زلنا نرى المعول والرمح والظل الذي سيمكننا من اضافة قوة للقوى العربية تعامل باللين وبالجد حسب الظروف للوصول الى الاهداف العربية الشاملة او الجهوية، وكان التحاقنا بالجامعة العربية امتدادا وجدانيا وعقلانيا للخطاب التاريخي الذي القاه جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه الذي ننتسب اليه بالبنوة والتلمذة، خطاب طنجة الذي هز أركان الاستعمار.

ومن ذلك اليوم والمغرب يلتزم التزاماً كافيا شافيا، التزاما واضحا لا غبار عليه، وضميرنا مرتاح ولا يمكن لمن اراد بنا السوء ان يركب المراكب المزيفة حتى يمد يده الينا، المغرب كامل السيادة، المغرب يعقد فوق ارضه

المؤتمرات المغربية التي يريد ومن حقه ان يستدعي المغاربة اينما كانوا، ومن حقه ان يستدعي المغاربة اينما وجدوا، المهم أن المغرب أثناء ذلك المؤتمر الذي لم يكن مؤتمر الدولة ولكن كان مؤتمراً داخلا في حرياتنا العامة، وربما لا تعرف بعض الدول في الشرق هذا اللفظ، واظن انها لم تعرفه منذ سنين، داخل في اطار حرياتنا العامة، واثناء ذلك المؤتمر لم يصرح المغرب بشيء يمس القضية العربية، وما التزم بشيء، وما تنكر لأي التزام من التزاماته، بل يعتقد المغرب انه بمثل هذه اللقاءات يخدم القضية العربية، والذين يريدون اليوم ان ينالوا من المغرب هم اعرف الناس — بناء على ما قلنا لهم اخيرا بواسطة مبعوثيهم ووزرائهم — بانه رغم جميع المحاولات الديبلوماسية والسياسية التي سيقوم بها المغرب سوف يجدون المغرب على العهد كما في الماضي، وسوف يسمعون اطلاق النار لا اقول الطلقة الاولى ولكن الطلقة الثانية اذا ما اقتضى الحال من بندقية مغربية، وسوف يجدون الشهيد الاول او الثاني جنديا او ضابطا مغربيا التزاما منه بالتضحية بالنفس والنفيس للوصول الى الغرض المطلوب المنشود، وماعدا هذا فهو متروك لسيادة اية دولة عربية، ولا يمكن لأي احد ان يرجع بنا الى عهد المرحوم جمال عبد الناصر الذي كان يفرض ما يريد على من يريد، الا المغرب طبعاً.

فهذه تذكرة اولا بتاريخ المغرب وبالتزاماته وبممارسة المغرب لالتزاماته واحترامه اياها، وتذكرة بالاغلاط او المغالطات اوالتغطيات التي اوقعت العالم العربي والاسلامي في كارثة القدس، ولا أضيف اليها الجولان ولا الضفة الغربية ولا قطاع غزة ولا سيناء.

وبما اننا طوينا هذه الصفحة ونرجو بالنسبة للجميع ان تكون مطوية نهائيا فلندخل اذن بكيفية موجزة في موضوع القدس، القدس كما قلت لكم ليس في حاجة الى ان يكون يوم 18 مايو هو يومه، يوم القدس هو كل يوم في قلوب المغاربة والمسلمين.

وكنا نريد ان يدلي كل بلد مسلم بأكثر مما ادلى ويعطي اغلى مما اعطاه، لان القدس وهي القبلة الاولى والحرم الثالث، ولكن لي اليقين ان احتفالنا الرمزي في جميع قارات العالم، وهذا هو المهم لأن المسلمين يوجدون في جميع القارات : اوربا وافريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية، المهم هو ان تكون القلوب تنبض نبضة واحدة في يوم واحد، مفكرة في شيء واحد، مؤمنة بقضية واحدة، آخذة العهد على نفسها وعلى من يرثها ان تسترجع كرامة العرب والمسلمين في القدس وان ترد للقدس قداسته.

انك تعلم شعبي العزيز ان المؤتمر الاسلامي الاول انعقد في الرباط، لأن الصهاينة كانوا بدأوا اعمالهم التخريبية بالمسجد الاقصى في القدس، وتلك الاعمال التخريبية لم تقف عند ذلك، بل استمرت تلك الاعمال والأفعال بكيفية هوجاء، لا تحترم التاريخ ولا الأصالة ولا الدين ولا الوحدانية التي يدين بها ابناء سيدنا ابراهيم عليه السلام

وفي اجتماع لجنة القدس الاخير كان لك — شعبي العزيز — ان ترى بيد اخينا وشقيقنا رئيس منظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات خريطة القدس ما دمر وما هو في طريق التدمير، والمخططات التي تريد ان تنال من القدس وقدسيته وصبغته العربية.

حقيقة ان مدينة القدس هي الكفيلة بان تكون النبراس لكل من يدين بدين الوحدانية، ولكل من يدين اما باليهودية واما بالنصرانية واما بالاسلام.

علينا ان نبث في أذهان الجميع وبالاخص في اذهان غير المسلمين ان قضية القدس ليست قضية صراع عربي اسرائيلي، بل هي قضية صراع اسلامي نصراني — صهيوني، هي اذن قضية تمييز بين الحق والباطل، قضية من أقدس القضايا، والغريب في قضية القدس انها لا تنبني على عنصرية بالنسبة للجلد، ولا على عنصرية بالنسبة للغة، ولا على عنصرية بالنسبة للدين، بل على العكس هي القضية الوحيدة الماثلة بين اعيننا في هذا القرن، قرن المادة والتكنولوجيا والفضاء، هي القضية الوحيدة التي تجمعنا جميعا دون فرق بيننا في الجلد ولا في النطق ولا في اللون ولا على عنصرية بالنسبة للدين، هي القضية الوحيدة التي لا أرضية لها الا القيم الروحية والرجوع الى مناهل العقيدة، هي القضية الوحيدة التي تمكن من ان نرى ابن آدم مجرداً من الشره والنهم السياسي او الاقتصادي او حب التوسع، قبل ان نلقى الله حفاة عراة في وضع يظهر الانسان بمظهره الحقيقي المترفع عن جميع الظرفيات، ذلك الانسان الذي لا يرى الا الوهية الله ووحدانيته وقدسية كتبه ورسله.

هذا ما يجب علينا ان نفسر وان نشرح وان نحارب من أجله، لا ان نصيح فلان ضد فلان او نريد ظلما وعدوانا، هذا هو الكتاب الذي يجب ان نتأبطه وان نخترق به البحار والقارات لنصل الى الاذهان، الأذهان الغالطة، لأن أغلبية الاذهان مخطئة في الموضوع، علينا ان نصل الى غزو الاذهان وفتح الافكار والرجوع عن الغي والالتحاق بالصواب، وهذا ما قرره المؤتمر الاسلامي المنعقد بالدار البيضاء، وهذا ما اقرته لجنة القدس المجتمعة اخيرا بفاس.

وكما تعلم — شعبي العزيز — لخديمك هذا مخاطبك اليوم الشرف العظيم والجليل لأن يكون رئيسا للجنة القدس تلك الرآسة التي تجددت ثلاث مرات.

وكما قلت لك شعبي العزيز حينما كنت اتكلم عن التزامات وعن المعنى الذي تعطي للالتزام ما يجري عليك يجري على خادمك، قبل ان اقبل الرئاسة الاولى واقبل تعددها ثلاث مرات كنت انا الاول اقوم المسؤولية عقلانيا وليس ديماغوجيا، وكنت اذ ذاك بين اختيارين ان أقبل الرئاسة علما مني انها ستكبل يدي وستنقص شيئا من حرية تحركات السياسة الخارجية المغربية، ولكنني اخترت بين حرية التحرك ونوعية التحرك، فاذا كانت هذه الرئاسة اولا التزاما واستسلاما لـ 43 دولة تقيد شيئاً ما من حرية التحرك فهي لا تمنعنا من ان نميز بين نوعية العمل وبين نوعية التحرك، فنوعية التحرك هي متروكة لضمائرنا ونوعية العمل متروكة لضمائرنا ايضا، فالهدف هو تحرير القدس، هذا لا مجال لأي تفسير فيه، ولا لأي تعليق، الهدف مفهوم ومعروف، والتنقيص شيئاً ما عن رضى من طرف كل عضو من اعضاء المؤتمر الاسلامي هذا شيء وارد، لأن هذا هو المقابل في المعاملات الدولية، ولكن التنقيص الجزئي من التحرك لا يعني انه يمكن لأي احد منا ان يجادل اخاه او صاحبه اذا كانت الثقة موجودة في النوعية، المهم أن لا نلتزم بمنكر ولا نتنكر لالتزام.

وبوعيك شعبي العزيز وبوعي الامة الاسلامية كلها وبتحملنا وصبرنا وبنصاعة حجتنا وبقيمة حججنا وتفسير حججنا سنصل — كما قلت لك آنفا — الى ان نفسر لأبناء ابراهيم عليه السلام انه لا قضية تشرف الانسان كقضية القدس، لأن قضية القدس تقدس الانسان، لأنه يعمل متجردا شريفا نزيها لوجه الله ولوجه كتبه ورسله، أولئك الرسل الذين فضل الله بعضهم على بعض.

اظن شعبي العزيز انك فهمت خطابي وآمل ان يكون جميع اخواننا من الاسرة الاسلامية قد فهموه كذلك. وآمل ان نطوي الصفحات وأن نفتح السجل، هذا هو اول يوم القدس، وآمل ان نطوي فيه الصفحات، وان نفتح جميعا في الاسرة الاسلامية السجل الجديد بصفحة بيضاء قدسية مقدسة.



ولنختم بهذه الآية من الكتاب الكريم «ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، فهزموهم باذن الله».

صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الجمعة 16 شعبان 1404 — 18 مايو 1984